مدنيات / اجتماعيات

النهار

التاريخ 29/11/2005
العدد 22498
الصفحة 26

محاضرة في اللبنانية الأميركية بعنوان "على خطى يسوع المسيح في فينيقيا":

رحلة الحج المسيحي تمر في مدن لبنان

كتبت زينب عساف:

النشاط التبشيري ليسوع المسيح في الجنوب اللبناني على أرض ساحل فينيقيا، بحسب الأناجيل الأربعة، موضوع المحاضرة التي افتتح بها مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الاميركية نشاطاته لهذه السنة مع المستشرق الايطالي مارتينيانو رونكاليا الذي قال ان المسيح زار صور، بحسب نبوءة حزقيال عن المدينة، وصيدا كما يروي الرسول متى، والصرفند كما ذكر الرسول لوقا، وجبل حرمون كما يقول جوزف كلاوسنر في كتابه "يسوع الناصري". أما قانا الجليل فأخذت حيزاً واسعاً من المحاضرة عندما أثبت رونكاليا انها قانا اللبنانية. وقد استغرق المحاضر الايطالي ثمانية أعوام في وضع كتابه "على خطى يسوع المسيح في فينيقيا/لبنان خلال الاعوام 28 و29 و30 في قانا الجليل، صور، صيدا، الصرفند، وجبل حرمون" معتمداً طريقة البحث الألمانية ومستنداً الى مصادر واكتشافات تاريخية.

سياحة دينية

الكلمة الافتتاحية كانت لمدير المركز هنري زغيب الذي روى كيف اخبره صديق أردني بأن احد المواقع الأثرية الأردنية (وهو المغطس حيث عمّد يوحنا المعمدان المسيح) أضحى مقصداً للسياح بعد زيارة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني له تحقيقاً لحلمه في السير على خطى المسيح، وهذا ما قاده الى التفكير في الموارد الموجودة في لبنان.

وأضاف: "في تلك الحقبة نفسها زار قداسته لبنان اثنتين وثلاثين ساعة، وفي حلمه ان يسير في لبنان على خطى المسيح كما ورد في الانجيل. فالى اين ذهبوا به؟ الى حريصا ومرفأ بيروت. ولم يمش على خطى المسيح عندنا في صيدا وصور والصرفند وجبل حرمون وقانا، وكنا تمنينا لو انهم أخذوه فوقها بطوافة، اذاً لشعر بأنه، ولو لم يمش، رأى الأرض التي مشى عليها المسيح.

وفي اقتناع رونكاليا ان قانا الأعجوبة الأولى هي قانا لبنان لا كفركنا في فلسطين. قلت "في اقتناعه لكن الأصح انها نتائج أبحاث لخصها في كتابه النفيس موضوع لقائنا اليوم "على خطى المسيح في فينيقيا لبنان" بين قانا وصيدا وصور وصرفتا (الصرفند) وجبل حرمون في الأعوام 28 و29 و30 من حياته".

صفير

عبدالله صفير القى كلمة رئيس الجامعة الذي اضطر الى السفر صباحا مما منعه من افتتاح موسم المحاضرات هذه السنة.

وقال: "أحب ان انقل لكم ارتياح الادارة الى ما يقوم به المركز من نشاط، سواء بجمع التراث اللبناني على مختلف انواعه واشكاله ومستوياته، متمما الغاية التي من اجلها وافقت الجامعة على انشائه، او ما يقوم به من نشاطات دورية في سلاسل محاضرات تضيء على تراثنا اللبناني، مستضيفا لها كبار الاختصاصيين والمحاضرين والمؤلفين الخبراء كل في حقله واختصاصه. وهذه المحاضرة زاد جديد يضاف الى ارثنا اللبناني عن ارضنا اللبنانية التي مشى عليها السيد المسيح وكانت له عليها اعجوبات واحداث يعتز بها تاريخ لبنان القديم والحديث".

الخادم

ناشر الكتاب سمير الخادم قال: "احببنا، في "المؤسسة العربية للدراسات ما بين الشرق والغرب"، ان نقدم هدية قيمة للمواطنين في لبنان وخارجه، وقد يوحي العنوان بأن للكتاب طابعا دينيا، وهذا صحيح، لكن التركيز في هذه الدراسة الموثقة غير المسبوقة هو على حقبة من تاريخ لبنان الثقافي والاجتماعي والحضاري مع ظهور السيد المسيح. فالمدن اللبنانية: صور وصيدا وصربتا (الصرفند) كانت قبل الدعوة المسيحية ولم تزل. وكانت صور، تلك الحقبة، حاضرة شرق المتوسط (كنيويورك اليوم مركزا للتجارة العالمية) وكانت عملتها "الشيكل الفضي" (كدولار اليوم قيمة عالمية) العملة الاقوى في تلك الحقبة، حتى ان السيدة العذراء دفعت في القدس نذور طفلها يسوع بالنقد الصوري: على وجه منه صورة الاله ملقارت وعلى

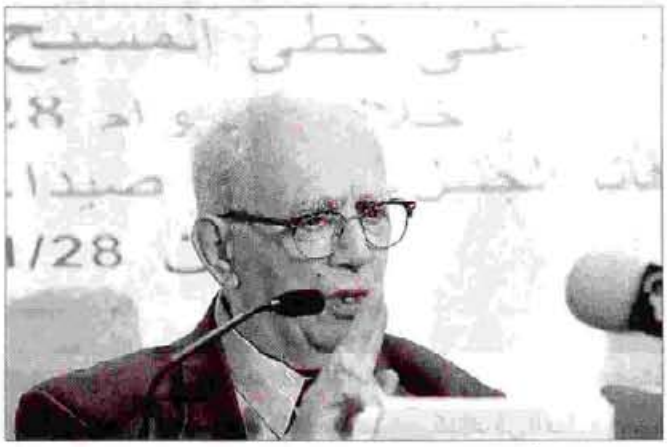

رونكاليا محاضراً. (مروان عساف)

الوجه الاخر صورة النسر الصوري مع عبارة: "صور المقدسة والمنيعة". واشار الى ان اعادة رسم الخرائط القديمة تستوجب حذرا شديدا "فقانا الجليل، مثلا، القريبة من صور، تبخرت من الخرائط اليهودية القديمة واستعيض عنها بـ"كفركنا" القريبة من الناصرة. وكان لا بد من اعادة قانا الى مكانها الطبيعي".

قانا وليس كفر كنّا

رونكاليا شرح ان المسيح كان يغادر الجليل مرات ليبتعد عن المنازعات مع الفريسيين والعشارين والكتبة وكهنة الهيكل اليهود، فيأتي الى تخوم صيدا وصور والصرفند ويجترح عجائب امام وثنيي فينيقيا. في تلك الفترة، ومنذ الغزو الروماني عام 63 (ق.م.)، لم تكن بين المدن حدود داخلية لان تلك المنطقة كانت مقاطعة رومانية بلا حدود سياسية. وحدها فينيقيا لبنان كانت الاستثناء لاسباب تجارية عملانية. لذا كان انتقال المسيح من بلدة الى بلدة سهلا بدون عوائق لان رجال الامن الرومان كانوا يرون فيه مبشرا مسالما يحترم القانون الروماني ويؤدي ضرائبه.

واستشهد بنبوءة حزقيال عن صور الذي يروي عن الانجيلي مرقس ان المسيح، لدى وصوله من الجليل الى تخوم صور، طلب من تلامذته الا يعرف احد بمكان اقامته. لكن امرأة كنعانية (اغريقية المولد فينيقية الاقامة) رأته فعرفته وتوسلت اليه أن يشفي ابنتها فيخرج منها الشياطين. طلب منه تلامذته أن يبعدها فقال لها: "دعي البنين اولا يشبعون. لا يحسن ان يؤخذ خبز البنين فيلقى الى صغار الكلاب". قالت: "لكن صغار الكلاب تأكل تحت المائدة من فتات الاطفال "فأجابها يسوع: "لأجل قولك هذا اذهبي: خرج الشيطان من ابنتك" (مرقس 7/ 24 - 30). وروى الحادثة الانجيلي متى (15/ 21-28).

ومن اهمية صور في حياة المسيح ان يوسف ومريم، لدى ختانه في الهيكل، اديا الجزية بالشيكل الصوري الذي كان العملة الاقوى عهدذاك لدى خزانة الهيكل. وعندما بلغ يسوع العشرين دفع الجزية نفسها بعملة صور التي كانت الوحيدة المقبولة مع العملة اليهودية. ويروي متى ان يسوع انصرف من اراضي صور ومرّ بصيدا. ويروى مرقس انه نزل الى شطها من السفينة مع تلامذته (مرقس 6/ 45 - 56).

اما الصرفند فيذكرها الانجيلي لوقا (4/ 26)، ويثبت العالم موريس دونان ان "صربتا" الانجيل هي نفسها الصرفند اللبنانية. ويذكر المحاضر ان يسوع كان يصادف في صيدا وصور مجادلين قساة القلوب فينسحب منهم ليرتاح في اماكن هادئة بعيدا عن جدال الفريسيين. ويستشهد المحاضر بآيات من الانجيل تؤكد جولاته في صيدا وصور والصرفند.

والتجلي الذي حصل على سفح جبل حرمون هو أكبر حدث في سيرة

يسوع وتاريخ المسيحية، كما يقول جوزف كلاوسنر في كتابه "يسوع الناصري" (القدس - 1925). ونقلا عن وثائق علمية حديثة، فان يسوع وتلامذته توجهوا الى جبل حرمون في صيف سنة 29، وهو مشوش البال لكونه لم يستطع ان يقنع مجادليه كما يشاء.

وعن الانجيلي متى (17/1 - 13) انه مضى ببطرس ويعقوب وأخيه يوحنا الى جبل حرمون وتجلى امامهم فتلألأت ثيابه كالنور وكان ذاك التجلي من أعظم أحداث يسوع على أرض لبنان.

وعلى سفح حرمون، حيث النهر الجاري من ذوبان الثلوج، أعلن المسيح ارادته في اقامته كنيسته وعين لها اول تلميذ آمن به: صياد السمك سمعان بن يونا. سماه بالآرامية "كيفاس" المعرّبة "بتروس" باليونانية (بتروس = الصخرة) اي بطرس بالعربية. وفي منطقة حرمون وسفحها وتلالها كان المسيح يعدّ تلامذته للتبشير برسالته السماوية، وهناك تنبأ لهم بوقوع آلامه ومحاكمته وموته وقيامته. ويثبت المحاضر بالقرائن ان التجلي حصل على جبل حرمون لا على جبل ثابور في فلسطين (متى 17/1).

وقد نقّب رونكاليا عن موضوع قانا سنوات طويلة في الكتب والمراجع والوثائق لدى مكتبات عامة غربية وجامعات أجنبية عدة، وتوصل الى أدلة وقرائن. فقال ان قانا الانجيل هي قانا لبنان (لا كفركنّا على طريق الناصرة مفضية الى بحيرة طبريا) لان المسافة التي قطعها يسوع من الناصرة الى قانا (قطعها رونكاليا سنة 1956 سيرا في يوم ونصف يوم) تدل على ان قانا لبنان هي قانا الاعجوبة الاولى خلال العرس بتحويل الماء الى نبيذ (يوحنا 2/1 - 11).

واستشهد رونكاليا لتأكيد وجود قانا في فينيقيا لبنان، بنص مؤرخ الكنيسة عالم الطوبوغرافيا والجغرافيا أوزابيوس مطران قيصرية فيلبس ومترجمه الى اللاتينية القديس جيروم. وكان أوزابيوس عام 330 كتب تاريخ الكنيسة ونقله الى اللاتينية العالم التوراتي القديس جيروم سنة 390، وفيه يحدد قانا ضمن صيدون الكبرى داخل المنطقة التي تقيم فيها قبيلة أشير عند وادي أشير (اليوم وادي عاشور في قانا) المذكور في العهد القديم، واليه استند مترجمه القديس جيروم حين مشى المسافة ثمانية أميال من صور الى قانا (كما جاء في انجيل يوحنا 2/1 - 11). ويؤكد أوزابيوس في تاريخه ان قانا احدى قرى جليل الامم، ولم يعلق القديس جيروم على الموضوع في ترجمته اللاتينية.

وبذلك أثبت ان قانا الجليل هي قانا في جنوب لبنان، لا كفركنّا قرب الناصرة كما تدعي اسرائيل. وعن وكالة اسوشيتدبرس (2004/11/11) ان عالم الآثار الاسرائيلي شيمون غيبسون يشك في صحة أجران كفركنّا دليلا كافيا لاثبات انها موقع حصول أعجوبة المسيح.

وشرح المحاضر كيف خلط حجاج القرون الوسطى قانا مع كفركنّا، وكانت لذلك اسباب ودوافع. لذا جعل رونكاليا كتابه ذا قرائن علمية وخرائط أجنبية واثباتات تاريخية وأثرية على ان قانا المسيح هي نفسها قانا جنوب لبنان. ولما كانت الخرائط اليهودية القديمة أغفلت قانا وأشارت الى كفركنا قرب الناصرة، أعيد في كتابه رسم الخرائط من جديد وفق الاصول القديمة فظهرت قانا الحقيقية قرب مدينة صور. وهو أثبت في خرائط علمية موثقة ان كان للجليل أيام المسيح جزء في أراضي لبنان ساحلا وجبلا، مثبتا ان الاراضي المقدسة ليست فقط في فلسطين بل كذلك في لبنان وتحديدا في جنوبه.

وختم رونكاليا ان يسوع زار قانا مرتين: الاولى في آذار 28 حين اجترح أعجوبته الاولى، والاخرى في آب من السنة نفسها حين شفى ابن احد الضباط الرومان، وآمن به ناتانائيل من قانا.

المسيح في الاسلام

وعقّب الامين العام للجنة الوطنية الاسلامية المسيحية للحوار محمد السماك على المحاضرة وقدّم رؤيته حول موقع المسيح في القرآن وموقع المسيحية فيه ومفهوم الارض المقدسة.